مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 16 العدد: 01 السنة 2024 ص 396 - 415

تاريخ الإرسال: 2022/02/01 تاريخ القبول: 2023/11/15
تاريخ النشر: 2024/05/16

التّركيبُ الشّرطي في شعر أبي الفتح البُسْتي(ت400ه) قصيدة الحكـــم أنموذجًا

Conditional Syntax in the Poetry of Abu Al-Fath Al-Busti (d. 400 A.H.) "The poem of proverbs" is a mode

أحمد الطيبي

جامعة تامنغست– الجزائر – t.tayebi222@gmail.com

المخبر: العلوم والبيئة. تامتغست

الملخّص:

يعدّ التّركيب الشّرطي من المسائل التي شغلت بال النّحاة قديما وحديثا، ولا يزال البحث فيه قائما ومستمرا، كونه مرتبطا بمختلف النّصوص الأدبيّة شعرا كانت أو نثرا، وقد أدرك النّحاة، والفقهاء، والأصوليون، والمناطقة أهميتّه من خلال مسائله المتعدّدة وما يحقّقه من دلالات معيّنة بين المتكلّم والمخاطَب، من أجل ذلك تسعى الدّراسة إلى تسليط الضّوء – من النّاحية التركيبيّة– لدراسة التّركيب الشّرطي في أشهر قصيدة لأبي الفتح البستي والمعروفة بقصيدة الحكم.

ولطبيعة الدّراسة اِعتمدنا المنهج الوصفي، إضافة إلى المنهج التّاريخي أحيانا أخرى، محاولين في ذلك دراسة التّركيب الشّرطي في"قصيدة الحكم" لأبي الفتح البستي" بطرح إشكالية مؤدّاها: ما دواعي اعتماد الشّاعر على الشّرط في قصيدته؟

وللإجابة عن ذلك نطرح التّساؤلين الآتيين:إلى أيّ مدى وظّف البستي الشّرط في نونيته؟ وأي الأدوات كانت الأكثرَ استعمالا؟

الكلمات المفتاحية: التّركيب، الشّرط، البستي، قصيدة الحكم، النّحاة.

Summary:

The conditional composition is one of the issues that have been drawibg attention of the ancient and modern grammarians and the research on it is still ongoing because it is related to various literary texts, whether they are poetry or prose. The grammarians, the jurists, the fundamentalists and the logicians have realized its importance through its various issues and through the particular signs it reveals between speakers and interlocutors. For this reason, the study seeks to shed light, from the structural point of view, on the study of the conditional structure in the most famous poem written by Abu al-Fath al-Basti, known as the "poem al-Hikam".

Due to the nature of the study, we adopted the combination between descriptive approach and historical one, attempting to study the conditional structure in the "Poem of al-Hikam" written by Abu al-Fath al-Basti, by raising a problem: What are the reasons that prompted the poet to rely on the conditional in his poem?

To answer this, we ask the following questions: To what extent does Al-Basti use the conditional in his "Nounia"? Which tools are the most used in his poem?

Keywords: composition, condition, basti, poem of al-Hikam, grammarians.

تمهيد:

يرى الدّارسون أنّ اللغة العربية غنيّة بتراكيبها المختلفة من توكيد، واستثناء وتقديم وتأخير، وحذف، وتنازع، وقسم، وشرط...إذْ يعدّ الأخير من المسائل الشّائكة

والمهمّة في الدّرس اللّغوي العربي، وقد أسهب النّحاة في دراسته قديما وحديثا مبرزين ما يتضمّنه من أحكام مختلفة ومعانٍ متعدّدة، سواء أكانت متعلّقة بأدوات الشّرط، أو جملة الجواب. والتّراكيب اللغوية بأنواعها المختلفة نحوية كانت أو صرفيّة أو صوتيّة أو دلاليّة أو معجميّة لا يمكن فصل بعضها عن بعض لما يوجد بينها من ائتلاف وترابط وتضام مما يسهم في تحقيق المعنى المتوخّى من عملية التّواصل.

والشّعر ديوان العربِ ووعاء اللّغة حظي باهتمام كبير من الدّارسين قديمًا وحديثا لاستخراج ما فيه من صيغ و تراكيبَ، وما يرمي إليه من أغراض ودلالات يصوغها الشّاعر ويصوّرها بلغة يفهمها أهلُ عصره، وبدءًا من العصور الأولى وصولا إلى القرن الرّابع الهجري الذي شهد حركة علمية رائدة لاقت اِهتماما وتشجيعا من الملوك والوزراء، وفي مدينة "بُسْتْ" بزغ الشّاعر الكاتب أبو الفتح البُستي الذي اشتهر بقصيدة الحكم، والتي لاقت قبولا بين النّاس، فظلّوا يُنشدونها ويَحفظونها على مَرِّ الأزمنة و العصور. وما دفع الباحث لخوض غمار هذا البحث قلّة الدّراسات اللّغويّة الّتي اهتمت بشعره، فمعظمُ الدّراسات في شعره اقتصرت على الجوانب الفنيّة المختلفة، ولم نكد نقف على دراسة اهتمت بالجوانب التّركيبية في شعره، لذا حاولت الدّراسة تسليط الضّوء على سمة بارزة في شعره والمتمثّلة في التّركيب الشّرطي.

أولا: مفهوم الشّرط:

1- لغة:

عند تقصّي البحث في المعاجم العربيّة لمادة (شرط) نجد أنها جاءت بمعانٍ متعدّدة[1] منها: إلزام الشّيء، والتزامه في البيع ونحوه، وفي المثل:" الشّرط أملك عليك أم لك". والجمع شروط، وقد شرط له وعليه كذا يشرِط ويشرُط شرطا واشترط عليه. والشّريطة: كالشّرط؛ وقد شارطه وشرط له في صيغته يشرِط ويشرُط؛ وشرطَ للأجير يشرُط شرطا. والشَّرَطُ، بالتّحريك: العلامة والجمع أشراط.

وأشراط الساعة:أعلامها، وفي التنزيل العزيز: ﴿ فهلْ ينظُرُونَ إلا السّاعَةَ أنْ تَاتيَهم بغتةً فقدْ جاءَ أشْرَاطُهَا﴾ محمد/18. والاشتراط: العلامة التي يجعلها النّاس بينهم.

واللّفظ ورد في الحديث الشّريف في قوله صلّى الله عليه وسلم: ﴿ ما بالُ رجالٍ يَشْتَرِطُونَ شُروطًا ليستْ فِي كِتَابِ اللهِ، مَا كَانَ مِن شرطٍ ليسَ فِي كِتابِ اللهِ فهُوَ بَاطِلٌ، وإنْ كَان مئة شَرط، قَضاءُ اللهِ أحقُّ، وشَرطُ اللهِ أوْثقُ، وإنَّمَا الوَلَاءُ لِمَن أعتَق﴾[2].

2- اصطلاحًا:

أ- الشّرط عند الأقدمين:

عرّفه المبرّد (ت285هـ) بقوله:" وقوع الشّيء لوقوع غيره"[3]. ويتّضح من هذا التّعريف أنّ العلاقة بين فعل الشّرط وجوابه علاقة سببية بحيث إذا وقع فعل الشّرط وقع الجواب معه، فوقوع الشّيء نتيجة حتمية أو لزومية لوقوع غيره، وذلك في نحو قوله تعالى:﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُم ﴾ الإسراء/7

وعرّفه الشّريف الجرجاني(ت816هـ) بقوله:" الشّرط تعليق شيء بشيء بحيث إذا وُجد الأول وُجد الثّاني"[4]. أمّا الفاكهي(ت972هـ) فقد كان أكثرَ ضبطا في تحديده لهذا المفهوم حين أوضح هذا الشّيء وربطه بالجملة فقال:" حدُّ الشّرط تعليق حصول مضمون الجملة بحصول مضمون آخر"[5] وما يتّضح من ذلك أنّ الفاكهي أضاف شيئا آخر إلى التّعليق ذلكم هو مضمون الجملتين أي جملة الشّرط وجملة الجواب والتي لا يمكن لأحدهما الاستغناء عنِ الأخرى.

ب- الشرط عند المحدثين:

أوضح بطرس البستاني(ت 1883م) معنى الشّرط عند المتكلّمين، وعند الفقهاء والأصوليين، وعند الحكماء وصولا إلى النّحاة الذين عرّفوه بقولهم:" هو ترتيب وقوع

أمر على آخر بواسطة أداة ملفوظة نحو:إنْ قام زيد قامَ غلامه، أو مقدرة نحو: زرني أكرمْك.أي فإن تزرني أكرمْك"[6]. فهو بهذا المفهوم يشير إلى أنّ الشّرط يقتضي وجود أمرين لا يستغني أحدهما عن الآخر، فكلّ منهما متعلّق بالآخر، فإذا وُجد الأول وجد الثّاني، وإذا انعدم الأول انعدم الثّاني. وهذا ما يفسّر لنا أنّه ليس في العبارة الشّرطية ما يدلّ على التّحقق من عدمه فبقيام زيد يتحقّق قيام غلامه، وفي عدم قيامه لا يتحقّق قيام غلامه. فهذه العلاقة التّلازمية في التّركيب الشّرطي – كما عدّها علي أبو المكارم– من قبيل العلاقة بين المبتدإ والخبر موضحًا ذلك في قوله:" هو نظير المبتدأ الذي لابد له من الخبر ولا يفيد أحدهما إلا مع الآخر. فالجملة الأولى كالمبتدإ والجملة الثّانية كالخبر"[7].

واللافت للنّظر أنّ المحدثين أيضا لم يكادوا يتّفقون على مصطلح واحد، فالمسدّي والهادي الطرابلسي ذكرا أنّ أشمل هذه المصطلحات مصطلح "الجملة الشرطية" احتذاء بما ذهب إليه أبو علي الفارسي(ت377هـ) والزّمخشري (ت 538هـ)، إقرارا منهم باستقلاليتها عن بقية الأنواع(الاسمية والفعلية) " فهي جملة قائمة برأسها، لها نظم خاص، وأحوال، ودلالات، لا تجدها في أيّ نوع من الأنواع الأخرى"[8]. لكنّهما انتصرا فيما بعد ذلك لمصلح آخر سمّياه" التّركيب الشّرطي" الذي عرّفاه بقولهما:" إنّ التّركيب الشّرطي وحدة نحويةٌ تحمل قضية تنحل إلى طرفين ثانيهما معلّق بمقدمة يتضمّنها الأول والعامل الذي تنعقد به القضية قد يكون لفظا صريحا وهو الأداة، وقد يكون مظهرا نحويا في صلب التّركيب وهو سياق الطلب"[9].

ثانيا:الأدوات الشّرطية

عرّفها ابن مالك الأندلسي (ت672هـ) بقوله :" وهي كلماتٌ وضعت لتدلّ على التّعليق بين جملتين والحكم بسببية أولاهما ومسببية الثانيّة وهذا التّعليق نوعان: تعليق ماضٍ على ماضٍ، وتعليق مستقبلٍ على مستقبل"[10]. والتّعريف نفسه ذهب إليه أبو

حيان التّوحيدي (ت745هـ) بقوله:" هي كلم وُضعت لتعليق جملة بجملة، وتكون الأولى سببا، والثّانية متسببا"[11]. فما يلاحظ من التّعريفين أنّ أبا حيان استعمل لفظ " كلم" بدلا من "كلمات"، وهذا ما جعل البعض يعترض على تعريف ابن مالك حين عبّر بقوله:" هي كلمات" كونها جمع مؤنث السّالم، وهو يدل على القلّة، وجمع القلّة يعني عدم الزيّادة على العشرة وكلم الشّرط أكثر من عشرة[12]، ويبدو أنّ هذه الاعتراض ليس في محلّه، فجمع المؤنّث السّالم يدلّ على القلّة و الكثرة، وقد أنكر أبو علي الفارسي(ت377هـ) قصر الجمع السّالم على القلة، معضدا رأيه بأي القرءان الكريم منها قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي الغُرفَاتِ آمِنُونَ﴾ فلا يعقل أن تكون الغرفات دالة على القلّة، ومنها قوله أيضا: ﴿كُتبَ عليكمُ الصيّامُ كَمَا كُتبَ على الذينَ من قبلكُمْ لعلّكُمْ تَتَّقُون أيامًا مَعدُودات﴾ فمعدودات جمع مؤنث السّالم دلّت على الكثرة[13].

والأصل في التّركيب الشّرطي أن يُصدّرَ بأداة شرط شأنه في ذلك شأن أدوات الاستفهام التي لها حق الصّدارة، وهو مذهب البصريين الذين لا يُجيزون تقديم شيء من معمولات فعل الشّرط، ولا فعل الجواب عليها، ويعلّل ابن مالك ذلك بقوله:" لأداة الشّرط صدر الكلام، فإن تقدّم عليها شبيه بالجواب معنى، فهو دليل عليه وليس إيّاه"[14]

وقد يتوهّم البعض أنّها تأتي خلافا لذلك، ولإزالة اللّبس عن هذه المسألة يمكن الإشارة إلى ما ذكره شوقي ضيف(ت2005م)، حين عرض جملة من الصيّغ يؤكد فيها حق الصّدارة لأدوات الشّرط منها قوله تعالى: ﴿إنّهُ من يتّقِ ويصبرْ فإنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أجرَ المُحسِنين﴾ سورة يوسف،" فاسم الشّرط"من" في الآية ليس خبرا لإنّ، وإنّما هو مبتدأ، وخبره فعل الشّرط"يتّق"، وجملة الجواب اسمية ولذلك اقترنت بالفاء و"من" وجملتاها خبر إنّ".[15]

وقد ذكر النّحاة هذه الأدوات في تصانيفهم النّحوية، فتباينت آراؤهم، فاتّفقوا أحيانا واختلفوا أحيانا أخرى حول هذه التّقسيمات[16]، ولعلّ أقدمَ تقسيم وصل إلينا هو تقسيم سيبويه(ت180هـ) فقال:" فما يجازى به من الأسماء غير الظروف: من، وما، وأيّهم. وما يجازى به من الظّروف: أيُّ حينٍ، ومتى، وأين، وأنّى، وحِيثُما. ومِن غيرهما: أنْ، وإذْ ما "[17].

فما يلاحظ من تقسيم سيبويه أنه قسّم هذه الأدوات إلى أسماء غير الظّروف، وظروف، وحروف التي لم يشر إليها صراحة، ملمّحا إليها بعبارة: ومن غيرهما. إضافة إلى أنّه أغفل بعض الأدوات الأخرى كـ(مهما) التي تداركها المبرّد(ت285هـ) في تقسيمه والذي لم يبتعد كثيرا في تقسيمه عن تقسيم سيبويه فقال:

" فمن عواملها من الظروف: أين، ومتى، وأنى، وحيثما.

ومن الأسماء: من، وما، وأي، ومهما.

ومن الحروف التي جاءت لمعنى: إنْ، وإذما"[18].

أما من النّاحية الوظيفيّة فتقسّم إلى قسمين:

1-أدوات شرط جازمة وتقسّم إلى:

أ- أسماء وهي: من، أين، أيان، متى، أنى، حيثما.

ب- حروف وهي: إنْ، إذما. وإن كانت الأخيرة مهجورة من قديم في الاستعمال.

2- **أدوات شرط غير جازمة:** ونقسّم إلى قسمين هما:

أ- الشّرط الامتناعي: وهو الذي يدل على امتناع شيء لوجود غيره وأدواته: لو، لولا، لوما.

ب- الشّرط غير الامتناعي: وهو الذي لا يفيد الامتناع، وإنما يفيد مجرد التّعليق والرّبط بين جملتي الشّرط والجواب وأدواته: إذا، كيف، أمّا، كلّما، لمّا.

ثالثا:التّراكيب الشّرطية في قصيدة الحكم لأبي الفتح البستي:

اشتهر البستي[19] بنونيته المعروفة بقصيدة الحكم، والتي تعدّ من أشهر قصائده وأطولها فسارت بها الرّكبان ولاقت قبولا بين النّاس، فتناقلوها وحفظوها وتغنّوا بها في شتّى الأقطار، وفي ذلك يقول شوقي ضيف:" وإلى زمن قريب كان المنشدون ينشدونها في مقاهي القاهرة"[20]. ونظرا لما تحمله من قيم ومعارفَ قام بشرحها الكثيرُ من الشّراح من أبرزهم صديقه أبو منصور الثّعالبي(ت492هـ). تحوي القصيدة خمسة وستين بيتا من بحر البسيط، تضمّنها الّديوان[21]، ازدانت بتراكيب لغوية متنوّعة منها التّركيب الشّرطي، والذي سيكون محلّ الدّراسة من خلال الوقوف على أدوات الشّرط وما يندرج تحتها من أنماط:

1- إنْ الشّرطيّة:

حرف جازم للدّلالة على مجرد تعليق الجواب على الشّرط، وآثرنا البدء بها كونها أمّ أدوات الشّرط وأصل لها، وهذا ما نقله سيبويه عن شيخه الخليل(ت170هـ) فقال:" وزعم الخليل أنّ إنْ هي أمّ حروف الجزاء "[22]. وفي ذلك يقول ابن مالك في الكافية(ت672هـ):

وأدواتُ الشّرطِ كلّها، وإنْ أصْلٌ فَمَعْناهَا بِكلّ مقترن[23]

ويعلّل المبرّد(ت 286هـ) كونها أمّ حروف الجزاء بقوله: " لأنك تجازى بها في كل ضرب منه، نقول: إن تأتني آتك، وإن تركب حمارا أركبه، ثم تصرفها منه في كل شيء، وليس هكذا سائرها"[24]، وهي تدخل على الفعل الماضي، فتنقله إلى معنى المستقبل، ومن خواصها أنها تستعمل لما يحتمل وقوعه، واستعمل الشّاعر هذا التّركيب تسع مرات في القصيدة منها ما ذكر فيها الجواب ومنها ما حذف منها أخذا بمذهب البصريين، وسنرجئ الحديث عن هذه المسألة في ثنايا البحث ، ويمكن حصر ذلك في نمطين هما:

النّمط الأول: إنْ، فعل ماض، جملة الطلب مقترنة بالفاء

ومن ذلك قوله:

وإنْ لقيتَ عدُوًا، فَالْقَهُ أبدًا والوجهُ بالبِشْرِ والإشْراقِ، غَضَّانُ

إن: حرف شرط جازم مبني على السكون، وجملة الشرط: لقيت عدوا، وجملة الجواب: فالقه أبدا، وقد جاء مقترنا بالفاء، لأن الجملة طلبية (أمر)

وإنْ نَبَتْ بكَ أوطانٌ نشَأْتَ بها فارحلْ فكُلُّ بلادِ اللهِ أوطَانُ

إنْ: حرف شرط جازم مبني على السكون، وجملة الشرط: نبت بك أوطان، وجملة الجواب: فارحل، وقد جاء أيضا مقترنا بالفاء، لأن الجملة طلبية (أمر)

النّمط الثّاني: إن، فعل ماض ناقص، جملة اسمية مقترنة بالفاء

يا نائمًا فرحًا بالعزِّ ساعده إنْ كنتَ في سَنَةٍ، فالدَّهرُ يَقْظَانُ

إنْ: حرف شرط جازم مبني على السكون، وجملة الشّرط: كنت في سنة، وجملة الجواب: فالدّهر يقظان، وقد جاء مقرونا بالفاء، لأنّ الجملة اسمية.

2- من الشّرطيّة:

اسم شرط جازم مبهم للدّلالة على العاقل، قال ابن مالك " فمن لتعميم أولي العلم، وتكون شرطا فتجزم "[25]. وهي في الأغلب لا تدلّ على زمن، واستعمل هذا التّركيب اثنتي عشرة مرة في القصيدة موزّعا على خمسة أنماط متباينة هي:

النّمط الأول: من، فعل مضارع، فعل مضارع

يعدّ هذا النّمط أساسيا في التّركيب الشّرطي، وذهب الزجّاجي إلى أنه الأجود[26]، وقد ورد في ثلاثة أبيات منها قوله:

مَن يتَّقِ اللهَ، يُحمدْ في عواقِبِهِ ويَكْفِهِ شرّ مَن عزَّوا، ومَن هَانُوا

مَن: اسم شرط جازم، ويتق الله جملة الشّرط، والفعل المضارع جاء مجزوما بمن وعلامة جزمه حذف حرف العلة. وجملة الجواب: يحمد في عواقبه ، وجملة يكفه شر

من عزوا ومن هانوا معطوفة على ماقبلها. وفعل الشرط وجوابه (يتق الله يحمد) في محلّ رفع خبر المبتدأ "من".

وقوله:

مَن يزرعِ الشّرَ يَحصدْ في عواقبهِ ندامةً، ولحصدِ الزَّرع إيّانُ

من: اسم شرط مبني على السّكون في محلّ رفع مبتدأ. يزرع: فعل مضارع مجزوم، وقد حرّك لالتقاء السّاكنين وجملة الجواب (يحصدْ) لا محلّ لها من الإعراب.

النّمط الثاني: من، فعل ماض، فعل ماض

عدّه الزجّاجي(ت340ه) أيضا بأنه أجود، ومنه قوله تعالى:" وإنْ عدتّم عُدنا" الإسراء/8. وتوصّل أحمد عمايرة إلى أنّ هذا النّوع من التّركيب هو الأكثر شيوعا من غيره، موضحا ذلك بقوله: " تشير الدّراسات الإحصائية إلى أنّ الفعل الماضي في العربية هو الأكثر شيوعا بوجه عام في الجملة الشّرطية من الفعل المجزوم"[27] .

واستعمل البستي هذا التّركيب في ستّة أبيات هي:

1- مَنْ جادَ بالمالِ، مالَ النَّاسُ قاطبةً إليـــــهِ، والمَـــالُ لِلْإِنْسَـــانِ فَتَّانُ

2- مَنْ مدَّ طَرْفًا بِفَرْطِ الجَهْلِ، نَحْوَ هَوَىً أغضَى عَلَى الحَقِّ يَوْمًا وهْوَ خَزْيَانُ

3- مَنْ عَاشرَ النَّاسَ لاقى مِنهُمُ نَصَبا لأنَّ سوسَهُـــمُ بَغْـــــيٌ وَعُدوانُ

4- مَنِ استشارَ صُرُوفَ الدَّهر قامَ لَهُ عَلَى حَقِيقَـةِ طَبعِ الدّهْـرِ بُرْهَانُ

5- مَنِ استنامَ إِلَى الأَشْرَارِ، نَامَ وَفِـي قَمِيصِـهِ، مِنْهُمُ، صِـلٌّ وَثُعْبَانُ

6- لا تَحْسِبَـــنَّ سُرُورًا دَائمًا أبَـــدًا، مَنْ سرَّه زمَـــنٌ، ساءتهُ أزمَـــانُ

وفي الجدول الآتي بيان لعناصر التّركيب الشّرطي:

رقم البيت	أداة الشرط	جملة الشرط	جملة الجواب
01	من	جاد بالمال	مال الناس قاطبة إليه
02	من	مدّ طرفا	أغضى على الحق
03	من	عاشر الناس	لاقى منهم نصبا
04	من	استشار صروف الدهر	قام له برهان
05	من	استنام	نام
06	من	سرّه زمن	ساءته أزمان

النّمط الثّالث: مَن، فعل ماض ، جملة منسوخة مقترنة بالفاء

ورد هذا التّركيب في بيتين متتاليين الأول في قوله:

مَنِ اسْتَعَانَ بِغيرِ اللهِ فِي طَلَبٍ فإنَّ نَاصِرَه عَجْزٌ وَخُذْلَانُ

فـ(من) اسم شرط جازم، واستعان بغير الله جملة الشّرط، وجملة الجواب منسوخة مقترنة بالفاء (فإنَّ ناصرَه عجزٌ وخُذلانُ).

والثّاني في قوله:

مَن كَانَ للخيرِ منَّاعًا، فليسَ لهُ عَلى الحَقيقةِ إخوانٌ وَأَخْدَانُ

فـ(من) اسم شرط جازم، وكان للخير منّاعا: جملة الشّرط، وجملة الجواب منسوخة مقترنة بالفاء.

النّمط الرّابع: من، فعل ماض، فعل مضارع

وذلك في نحو قوله تعالى:﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِليهِمُ أَعْمَالَهُم﴾ هود/15 ، وهذا النّمط نادر في القصيدة فلم يرد سوى في بيت واحد، وهو قوله:

مَنْ سَالمَ النّاسَ، يَسْلَمْ مِنْ غَوَائِلِهِم وَعَاشَ وَهْوَ قَرِيْرُ العينِ جَذلَانُ

3- إذا الشّرطيّة:

وهي ظرف زمان متضمّنة معنى الشّرط، وتفيد تعليق الجواب على الشّرط في المستقبل، والجزم بها مقصور على الشّعر وحدَه، وقد أعزى عبّاس حسن ذلك إلى التّساهل والضّرورة الشّعرية لا غير[28]. وقد استعمل الشّاعر هذا التّركيب في خمسة أبيات منها قوله:

فَللتّدابيرُ فُرْسَانٌ إِذَا رَكَضُوا فِيهَا، أَبَرُّوا كَمَا لِلْحَربِ فُرسَانُ

فـ(إذا) ظرف لما يستقبل من الزّمان خافض لشرطه متعلّق بجوابه، وفعل الشّرط (ركضوا)، في محلّ جرّ مضاف إليه، وجملة الجواب (أبروا)، لا محلّ لها من الإعراب لأنّ أداة الشّرط غير جازمة.

وقوله :

إِذَا نبَا بِكَرِيمٍ موطنٌ، فلَهُ وَرَاءَه فِي بَسيطِ الأَرْضِ أَوْطَانُ

فـ(إذا) أداة شرط غير جازمة، وجملة الشّرط (نبا بكريم موطن)، في محلّ جرّ مضاف إليه، وجملة الجواب (فله وراءه في بسيط الأرض أوطان).

4- لو الشّرطيّة:

هي حرف امتناع لامتناع غالبًا، بمعنى امتناع الجواب لامتناع الشّرط، والعبارة الجيدة في نظر ابن مالك(ت672هـ):" حرف يدلّ على انتفاء تال يلزم لثبوته ثبوتُ تاليه"[29]. وهي تفيد تعليق الجواب على الشّرط في المستقبل، وتدخل على الماضي، ودخولها على المضارع من باب الضّرورة ، كما في الشّاهد الآتي:

لو يَشَأْ طَارَ بهِ ذُو ميعَةٍ لَاحقُ الآطالِ نَهْدٌ ذو خُصَل[30]

وما يميّز(لو) عن غيرها من الأدوات الأخرى أنّ جوابها لا يكون إلا فعلا ماضيا، أو مضارعا مجزوما به (لم)[31]. واستعمل الشّاعر هذا التّركيب في بيتين أحدهما ذكر فيه الجواب وهو قوله:

ويا أخَا الشيّبِ! لو نَاصحْتَ نَفْسَكَ، لَمْ يَكُنْ لِمثلِكَ، فِي الإسْرَافِ، إمْعَانُ

فـ(لو) أداة شرط غير جازمة، وفعل الشّرط: ناصحت نفسك، وجملة الجواب: لم يكن لمثلك في الإسراف إمعان.

والآخر حذف منه الجواب وذلك في قوله:

مَا اسْتَمْرأَ الظُّلمَ، لو أنصفتَ آكِلُهُ وهلْ يلذُّ مَذاقٌ، وهْوَ خُطبانُ

5- ما يتضمّن معنى الشّرط: قد يتحقق معنى الشّرط بـ:كل التي تفيد العموم، وببعض الظّروف كحيث، وبالطّلب، وكما، وكيف... ولم تشتمل القصيدة سوى على:

أ- " كلّ " المتضمّنة معنى الشّرط وذلك في قوله:

وَكُلُّ وِجْدانِ حَظٍّ لَا ثَبَاتَ لَهُ فَإِنَّ مَعْنَاهُ فِي التَّحْقِيقِ فِقْدَانُ

ب-الجزم بالطلب:

يجزم الفعل المضارع في جواب الأمر والنّهي والاستفهام والعرض والتّمني[32]، واختلف النّحاة في عامل الجزم بعد الطّلب[33]. فمنهم من يرى أنّ لفظ الطّلب ضُمّن معنى حرف الشّرط، فجزم الفعل الواقع بعده، ومنهم من ذهب إلى أنّ أنواع الطّلب المذكورة نابت عن الشّرط فحذفت جملة الشّرط ونابت هذه عنها هذه في العمل، فجزمت، أما أكثر المتأخّرين فذهبوا إلى أنّ العامل في الجزم هو شرط مقدّر دلّ عليه الطّلب.

وتضمّنت القصيدة بيتا واحدا جاء فيه المضارع مجزوما كونه سُبق بطلب (أمر)، وذلك في قوله:

أَحْسِنْ إِلَى النّاسِ تَسْتَعْبِدْ قُلُوبَهمُ فَطَالمَا استَعبدَ الإِنْسَانَ إِحْسَانُ

(أحسنْ) فعل أمر مبني على السّكون، (تستعبدْ) فعل مضارع مجزوم لكونه واقعا لجواب الطّلب المتضمّن معنى الشّرط والمعبّر عنه بفعل الأمر(أحسن).

رابعًا: الحذف في الجملة الشّرطيّة:

من المسائل المتعلّقة بالشّرط مسألةُ الحذف التي لمح إليها النّحاة واستفاض فيها الدّارسون، ويأخذ الحذف في الجملة الشّرطية أشكالا متعدّدة، فقد يحذف فعل الشّرط، أو أداةُ الشّرط وفعل الشّرط، أو جوابُ الشّرط، وسيكون الحديث عن هذا الأخير الذي يعدّ من أكثر الأنواع انتشارا، وفي هذا الصّدد يقول إبراهيم الشّمسان: " العبارة الجوابية هي أكثر أجزاء الجملة الشّرطية تعرضا للحذف، وتحذف إذا دلّ عليها دليل أو كانت معروفة لا يحتاج إلى ذكرها"[34]. واشترطوا في ذلك أن يكون الفعل ماضيا.

ومن شواهد حذف جملة الجواب قوله عزّ وجلّ: ﴿ فَإنِ استَطَعْتَ أنْ تَبتَغِي نَفَقًا في الارضِ أوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتاتيهِم بآية﴾ الأنعام/ 35. فجواب الشّرط محذوف، تقديره افعل، أو ابتغِ[35]. ومنه قوله أيضا: ﴿ إنْ يَمْسَسْكم قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ القومَ قَرْحٌ مِثْلُه﴾ آل عمران/140. فجواب الشرط محذوف تقديره فتأسوا فقد مسّ القومَ قرح؛ لأنّ الماضي معنى يمتنع أن يكون جوابا للشّرط، ومن زعم أنّ جواب الشّرط فقد مسّ فهو ذاهل"[36].

ومنه قوله تعالى: ﴿ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ قُلْ هَاتُوا بُرهَانَكُم إنْ كُنتُم صَادِقِين﴾ النّمل/64. فـ(إنْ) شرطيّة، وجوابها: محذوف، تقديره: فهاتوا برهانكم[37].

ومسألة حذف الجواب من المسائل الخلافية بين البصريين والكوفيين، فالكوفيون يقولون إنّ الجواب لم يحذف لتقدّم ما يدلّ عليه، وإنّما هو جواب مذكور في التّركيب وهو المتقدّم، في حين يرى البصريون أنّ الجواب محذوف باعتبار لو كان المتقدّم هو الجواب لوجب اقترانه بالفاء حين يكون الفعل طلبيا، كما في قوله تعالى: ﴿ واشْكُرُوا اللهَ إنْ كُنتُمْ إيّاهُ تعبدُون﴾ البقرة/ 172.أو حين تكون الجملة اسمية نحو: أنت مكرم إن أكرمتني[38].

ومـــن المحـــدثين الـــذين أنكـــروا حـــذف جملـــة الجـــواب مهـــدي المخزومـي(ت1993م) الـذي يـرى أنّ الجـواب فـي مثـل هـذه الشّـواهد وغيرهـا مقـدّم وبالتّالي لسنا بحاجة إلى تقدير جواب، وقد أعزى التزامَ النّحاة بفكرة التّقدير والتّأويل إنّما يرجع إلى التزامهم وتمسكهم بفكرة العامل[39].

ويجب حذف جملة الجواب في ثلاثة مواضع هي:

1- إن كـان الـدّال عليـه مـا تقدم مـا هـو جـواب فـي المعنـى ولا يصـلح جعلـه جوابـا صناعة.

2- أن يكون الدّال على جواب الشّرط ما تأخر عنه من جواب قسم سابق.

3- أن يكـون الـدّال علـى جـواب الشّـرط مـا تـأخّر عنـه مـن جـواب اسـتفهام سـابق عليه[40].

واشـتملت القصـيدة علـى ثمانيـة أبيـات جـاء فيهـا الجـواب محـذوفا دلّ عليـه مـا قبلـه، ويمكن توضيح ذلك في النّمطين الآتيين:

النّمط الأول: إنْ، جملة الشرط، جملة الجواب المحذوفة

ومن ذلك قوله:

مَا اسْتَمرَأَ الظُّلمَ، لو أنصَفْتَ آكِلُهُ وَهَلْ يَلَذُّ مَذَاقٌ، وهْو خُطْبَانُ

فـ(لو) أداة الشّرط، وجملة الشّرط(استمرأ الظلم)، والجواب محذوف دلّ عليه ما قبله.

وقوله:

وَاشْدُدْ يَدِيكَ بِحَبْلِ الدِّينِ مُعْتَصِمًا فَإنّه الرُّكْنُ، إنْ خَانَتْكَ أَرْكَانُ

فـ(إنْ) حرف شرط مبني على السّكون، وجملة الشّرط(خانتك أركان)، وجملة الجواب محذوفة دلّ عليها ما قبلها.

وقوله:

كُلُّ الذُّنُوبِ، فَإنَّ اللهَ يَغْفرُهَا إنْ شيَّعَ المَرءَ إخْلَاصٌ وَإيمَانُ

إنْ: حرف شرط مبني على السّكون، وجملة الشّرط(شيّع المرء إخلاص)، وجملة الجواب محذوفة دلّ عليها ما قبلها.

وقوله أيضا:

مَا ضَرَّ حسَّانَهَا، والطّبعُ صَائِغُها إنْ لمْ يقُلْها قريعُ الشِّعر حسَّانُ

فـ(إنْ) حرف شرط مبني على السّكون لا محلّ له من الإعراب، وجملة الشّرط (لم يقلها قريع الشعر حسان)، وجملة الجواب محذوفة دلّ عليها ما قبلها.

النّمط الثّاني: إذا، جملة الشّرط، جملة الجواب المحذوفة

وذلك في قوله:

حَسْبُ الفَتَى عَقْلُه خِلًّا يُعَاشِرُهُ إِذَا تَحامَاهُ إخْوَانٌ وَخُلانُ

فـ(إذا) ظرف لما يستقبل من الزّمان خافض لشرطه متعلّق بجوابه، وجملة الشّرط (تحاماه إخوان)، وجملة جواب الشرط محذوفة دلّ عليها ما قبلها.

ومنه أيضا :

فَالنَّاسُ أَعْوانٌ مَنْ وَالَتْهُ دُولَتُه وَهُمْ عَليهِ إذَا عَادَتْهُ، أعْوَانُ

فـ(إذا) ظرف لما يستقبل من الزّمان خافض لشرطه متعلّق بجوابه، وجملة الشّرط (عادته أعوان)، وجملة جواب الشّرط محذوفة دلّ عليها ما قبلها.

ويرى فخر الدين قباوة أنّ "إذا"، و"لما" إن كان في عبارتيهما ما يدلّ على الحذف فإنهما تخرجان عن الشّرطية إلى الظّرفية كقول جميل بثينة(من الطّويل):

يَمُوتُ الهَوَى مِنِّي، إِذَا مَا لَقِيتُها وَيَحْيا، إِذَا فَارقتها، فَيَعُودُ[41]

وفيما يلي جدول إحصائي للأدوات الشّرطية المستعملة في القصيدة:

الأدوات الشرطية	عدد المرات	النّسبة المئويّة
إنْ	09 مرات	٪30
من	12 مرة	٪40
إذا	05 مرات	٪16.66
لو	02 مرتان	٪6.66
ما يتضمّن معنى الشّرط	02 مرتان	٪6.66

فمن خلال الجدول يلاحظ أنّ الشّاعر وظّف التّراكيب الشّرطيّة في قصيدته بما يقارب 50٪، وأنّ التّركيب الأكثر استعمالا في نونية البستي هو ما صُدّر بالأداة "مَـن" بنسبة 40٪؛ ويفسّر ذلك أنّ خطابه كان موجّها للنّاس فجمع فيه خلاصة تجاربه الحياتية، فكان نِعم الموجّه والمربي إلى الطّريق القويم في عصر تصدّعت فيه الأخلاق واختلّت القيم والموازين، فلبس لبوس الدّعوة والنّصح، ويبدوا أنّه كان متأثّرا بشاعر الحكمة زهير بن أبي سلمى(ت631م) الذي كان يدعو إلى السّلم ومكارم الأخلاق حتى غدا يعرف بشاعر الحكمة وبالعودة إلى معلّقته نجد أنّه استعمل لتّركيب الشّرطي المصدّر بـ" مَنْ" في تسعة أبيات متتالية منها قوله(الطّويل):

ومَنْ لمْ يُصانعْ في أمورٍ كثيرةٍ يُضرّسْ بِأنيابٍ وَيُوطأْ بِمَنْسِمِ
ومَنْ يَكُ ذَا فضلٍ فَيَبْخَلْ بِفضْلِهِ عَلى قَومِهِ يُسْتَغْنَ عَنْهُ وَيُذْمَمِ[42]

خاتمة:

من خلال البحث تم التّوصّل إلى النّتائج التّاليّة:

1-الأدوات الشّرطية التي استعملها البستي في نونيته هي: إن، ومن، ولو، وإذا، إضافة إلى ما يتضمّن معنى الشّرط والمتمثل في الطّلب، واستغناؤه عن الأدوات الأخرى كما ومهما وكلّما ولولا...

2- من أكثر الأدوات الشّرطية استعمالا في القصيدة " مَـن " ومردّ ذلك أنّ خطابه كان موجها إلى النّاس، في عصر انقلبت فيه الموازين وتردّت فيه الأخلاق.

3- كثرة الأنماط التّركيبية الشّرطية وحسن استعمالها تدلّ على مكنة الشّاعر اللّغوية ومقدرته التّعبيرية.

5- تأثّر البستي بالشّاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى في تراكيبه الشّرطية كان جليا مما يدلّ على أنّ هذا النّوع من التراكيب يناسب شعر الحكمة في كثير من الأحايين.

6- التّركيب الشّرطي في الشّعر العربي من المسائل التي تحتاج إلى إعادة قراءة في ضوء ما توصّلت إليه الدّراسات اللغويّة الحديثة.

قائمة المصادر والمراجع:

* القرءان الكريم.

1- ابن منظور، لسان العرب،تح:عبد الله على الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف،(شرط)، والفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الفكر، 2008م،(شرط).

2- محمد لابن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، ط1،2002م، ص519

3- أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، ، تح:محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة(1994)، ج2، ص45.

4- الشريف الجرجاني، التعريفات، مكتبة لبنان، 1985م،(باب الشين).

5- عبد الله الفاكهي، شرح الحدود في النحو، تح: المتولي رمضان أحمد الدميري، دار التضامن للطباعة(1988م)، ص275.

6- بطرس البستاني، محيط المحيط، ، مكتبة لبنان، ط1987م،(باب الشين).

7- علي أبو المكارم، الحذف والتقدير في الدرس اللغوي، دار غريب للطباعة والنشر القاهرة، ص222.

9- كريم حسين الخالدي، نظرات في الجملة العربية، دار صفاء عمان، ط1،2005م ص17.
10- عبد السلام المسدي، ومحمد الهادي الطرابلسي، الشرط في القرءان، حوليات الجامعة التونسية، العدد20، ص.17
11-ابن مالك، شرح التسهيل، تح:عبد الرحمن السيد، محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر، ج4، ص66.
12- أبو حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تح: رحب عثمان محمد، مكتبة الخانجي القاهرة، 1998م، ج4، ص1872.
13- أحمد خضر حسنين، أسلوب الشرط معناه ودلالته عند النحويين والأصوليين، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه، ص131.
13- خزانة الأدب، ج8، ص107. وتيسيرات نحوية، ص56 وما بعدها.
[14]- شرح التسهيل، ج4، ص85.
[15]- شوقي ضيف، تيسيرات نحوية، دار المعارف، القاهرة، 1990م، ص110.
[16]-علي أبو المكارم، الجملة الشرطية عند النحاة، ص155إلى 164.
[17]- سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج3، ص56.
19-المبرّد، المقتضب، ج2، ص 45. ابن جني، اللمع في العربية، تح: سميح أبو مغلي، دار مجدلاوي، 1988م، ص94.
20-هو علي بن محمد بن الحسين بن يوسف، الكاتب الشّاعر ولد سنة330هـ في مدينة بست، وإليها نسبته، صاحب الطريقة الأنيقة في التجنيس الأنيس.وتوفي سنة400هـ ببخارى.
[20]- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ج5، ، ص 634.
22- ينظر ديوان البستي، تح:وربة الخطيب، لطفي الصقال، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق(1989)، ص186، إلى ص192.
[22]- سيبويه، الكتاب، ج3، ص63.
24- ابن مالك، شرح الكافية الشافية، تح: عبد المنعم أحمد هريري، دار المأمون للتراث، ط1(1986م)، ج3، ص1579.
[24] - المقتضب ج2، ص49.
25- شرح التسهيل، ج4، ص 68.

27- الزّجاجي، الجمل في النحو، تح: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، ، ص212.
28- حليمة أحمد عمايرة ، الاتجاهات النحوية لدى القدماء، دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، دار وائل للنشر والتوزيع، ط1، 2006م، ص289.
29- عبّاس حسن، النحو الوافي، ط3، دار المعارف مصر،1974م، ص440.
[29]-شرح الكافية الشافية، ج3، ص1631.
31- عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخنجي القاهرة، ج11، ص298، وقائل البيت امراة من بني الحارث، ينظر: المسائل الملقبات في علم النحو، تح: عبد السلام سليم، مكتبة الآداب القاهرة، 2007م، م1، ص484.
[31]- شرح الكافية الشافية، ج3، ص1639.
33- الكتاب، ج3، ص93. وشرح المفصل، ابن يعيش، إدارة الطباعة المنيرية، ج7، ص47.
33- علي محمود النابي، جزم المضارع في جواب الطلب، دار الكتاب الحديث، ص13.
34- إبراهيم الشمسان، الجملة الشرطية عند النحاة العرب، ط1، 1981م، ص340.
36- هادي نهر،الإتقان في النحو وإعراب القرءان، عالم الكتب الحديث، ط1،2010م، ج4، ص1450.
37- أبوحيان التوحيدي، تفسير البحر المحيط، ، دار الكتب العلمية لبنان، ط1،1993م، ج3، ص68.
[37]- محي الدين الدرويش، إعراب القرءان الكريم، اليمامة للطباعة والنشر، مج5، ص540.
39-شرح الرضي على الكافية، ط2،1996م، دار الكتب الوطنية- بنغازي، ج4، ص98.
40- مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، ، دار الرائد العربي، بيروت، ط2،1986م، ص289 وما بعدها.
40- الحذف والتقدير في النحو العربي، ص221 وما بعدها.
41- فخر الدين قباوة، إعراب الجمل وأشباه الجمل، دار القلم العربي حلب، ط5، ص111.
42- أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزّوزني، شرح المعلقات السبع، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت- لبنان، 2011م، ص72.